جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

دور الدبلوماسية فى تعزيز العلاقات الخارجية لدولة المماليك تجاه دول الجوار
(٦٦٤-٩٢٢هـ/١٢٦٤-١٥١٦م)

إعداد

د/ عبير بنت فهد المهيلب

استاذ مساعد بقسم التاريخ والتراث- كلية اللغات والعلوم الانسانية
جامعة القصيم

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

دور الدبلوماسية فى تعزيز العلاقات الخارجية لدولة المماليك تجاه دول الجوار (٦٦٤-٩٢٢هـ/١٢٦٤-١٥١٦م).

عبير بنت فهد المهيلب

قسم التاريخ والتراث، كلية اللغات والعلوم الانسانية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: a.Almuhailib.qu.edu.sa

ملخص البحث:

تناول هذا البحث تلك العلاقات الخارجية التي كانت تجري بين الدولة المملوكية وبعض دول الجوار من مغول ومغاربة وعثمانيين، وهي علاقات كان أساسها دبلوماسية تعتمد السلام والتعاون والاحترام المتبادل منهاجًا لها في أغلب الأحيان، ولكن في بعض الأوقات ساد جوّ التوتر السياسي – بل والصدام العسكري – بسبب حساسية السلطة المملوكية اتجاه الدول التي انتهجت سياسية التوسع وبسط النفوذ على حساب أملاك المماليك غايتها، أو تلك الدول التي كانت تبدي عناية مبالغ فيه اتجاه الحرمين الشريفين وهو ما كان يغضب المماليك ويخرجهم عن جوّ الدبلوماسية الهادئة إلى جوّ التوتر والصدام، وقد تميزت علاقات المماليك بدول المغرب الإسلامي – على وجه العموم – بطابع الدبلوماسية الأخوية والتقارب فيما يخدم قضايا العالم الإسلامي، وهي امتداد لعلاقات قديمة مشرقية مغربية قبل قيام دولة المماليك، وبرزت العلاقات الدبلوماسية المملوكية مع المرينيّين أكثر من علاقاتهم مع الزيانيّين والحفصيّين، باعتبار أن بني مرين كانوا أكثر قوة ونفوذ في المنطقة، وهو ما كانت تقدّره الدبلوماسية المملوكية التي كانت تحترم الأقوى بين الدول.

الكلمات المفتاحية: المماليك، العثمانيين، المغول، الدبلوماسية، الدولة المرينية.

The role of diplomacy in strengthening foreign relations The Mamluk state towards neighboring countries (664-922 AH / 1264-1516 AD)

Abeer bint Fahd Al Muhailib
Department of History and Heritage, College of Languages and Human Sciences, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: a.Almuhailib.qu.edu.sa

Abstract:
This research dealt with those external relations that were taking place between the Mamluk state and some neighboring countries, including the Mongols, Magribans and Ottomans, relations that were based on diplomacy that relied on peace, cooperation and mutual respect as a method for which in most cases, but at times an atmosphere of political tension - and even a military clash - prevailed due to The sensitivity of the Mamluk authority towards the countries that pursued a policy of expansion and expansion of influence at the expense of the Mamluk property as its goal, or those countries that were showing exaggerated care towards the Two Holy Harams, which angered the Mamluks and removed them from the atmosphere of quiet diplomacy into an atmosphere of tension and clash,The relations of the Mamluks with the Islamic Maghreb states - in general - were characterized by a fraternal diplomatic nature and closeness that served the issues of the Islamic world, extending from ancient East-West Moroccan relations before the establishment of the Mamluk state, Mamluk diplomatic relations were more prominent with the Marinids than their relations with the Zayyanids and Hafsids, considering that the Marinids were stronger and more influential in the region. This was appreciated by Mamluk diplomacy, which respected the strongest among the states.

Keywords: Mamluks, Ottomans, Mongols, Diplomacy, Marinid State.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده سبحانه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمد عبد الله ورسوله، صلى الله عليه آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

عُرِفَتْ الدبلوماسية(١) منذ القِدَم بأنها "السّلاح الناعم" الذي تستخدمه الدولة في تحقيق مصالحها المتنوعة بين الدول سواء كانت دول صديقة أو معادية، وكان يُشار إلى فن التفاوض على أنه الممارسة الرسمية التي تتبعها معظم الأمم في إرسال ممثلين يعيشون في بلدان أخرى، وهؤلاء الممثلون المفاوضون يُعرفون بالدبلوماسيّين، ويساعدون على استمرارية العلاقات اليومية بين بلادهم والبلاد التي يخدمون فيها، وهم يعملون من أجل مكاسب سياسية أو اقتصادية لبلادهم ولتحسين التعامل الدولي(٢).

وبالتأمل في الأحداث التاريخية التي عاشتها البشرية على مرّ العصور، نجد أن المجتمعات السياسية تبادلت في ما بينها البعثات الدبلوماسية منذ القديم؛ في نفس فترة العصور الوسطى، ومع بزوغ فجر الاسلام استخدم المسلمون منذ عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم معاني هذه الكلمة في أول الأمر وسيلة لنشر

(١) عُرّفت الدبلوماسية في عصرنا الحديث بأنها تلك النُّظم ووسائل الاتصال بين الدول الأعضاء في الجماعة الدولية، وهي وسيلة إجراء المفاوضات بين الأمم. ويطبّق اليوم بعض أهل الأدب هذا التعبير على الخطط والوسائل التي تستخدمها الأمم عندما تتفاوض. مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، شارك فيها مجموعة كبيرة من المفكرين وأهل العلم العرب والمسلمين وغيرهم، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (٢٠٩/٣).

(٢) مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، (٢٠٩/٣).

الدعوة الإسلامية، حيث بادر ﷺ إلى إرسال الرُّسل داعيًا ملوك وأمراء عصره إلى الإسلام(١)؛ فقد أرسل عددًا من خيرة أصحابه بالكُتب والرّسائل إلى ملوك الدول ورؤساء الأمم وأمراء الجماعات داخل الجزيرة العربية وخارجها ليعرض عليهم الاسلام ابتداءً، ثم السّلم والتعاون البنّاء في مرحلة لاحقة.

وبعد اتّساع رقعة الفتح الإسلامي في العهدين الأموي والعباسي، رأت الدولة الإسلامية ضرورة زيادة إرسال البعثات الدبلوماسية بعد ازدياد علاقاتها بالدول الأخرى، فتمّ تبادل البعثات الدبلوماسية بين هاتين الدولتين والدولة الإفرنجية (فرنسا)، وبعض هذه البعثات استمرّت لفترات طويلة في رحلة الأداء، حيث ظلّ بعضها لثلاثة أعوام(٢)؛ ولعلّ من أشهر نماذج البعثات الدبلوماسية المتبادلة في هذه الفترة تلك البعثات التي جرت بين الخليفة العباسي هارون الرشيد (ت١٩٣هـ/٨٠٨م) وملك الإفرنج (فرنسا) شارلمان بين سنوات ١٨١هـ-١٨٥هـ/٧٩٧م-٨٠٢م، ومنها تلك البعثات التي كانت بين الخليفة العباسي المأمون (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) وملوك البيزنطيين المجاورين(٣).

أولاً: الدبلوماسية المملوكية مع المغول:

ظهر المغول في العالم الإسلامي عندما قام زعيمهم جنكيزخان بحركة واسعة لغزو المنطقة، بدأها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م وأكملها أبناؤه من بعد عندما

(١) محمد عزيز شكري: المدخل إلى القانون الدولي العام وقت السلم، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٣٢٢.

(٢) مجيد خدوري: الحرب والسلم في شرعة الإسلام، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص٣٣.

(٣) ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، فهرسه: عبد الرحمن الشامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (١٠/١٩٣)، (١٠/٢٣٢).

اجتاحوا نهر جيحون ووصلوا إلى بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٧م، ففعلوا بالمسلمين الأفاعيل[١]، بل واستمروا في زحفهم – بعد سقوط بغداد – إلى دمشق وحاولوا الاستيلاء على مصر سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م[٢]. وقد أسلم معظم التتار الذين غزوا العالم الاسلامي وقامت لهم كيانات إسلامية مثل الدولة الإلخانية والدولة الجلائرية والدولة التيمورية، وكانت بين هذه الدول والدولة المملوكية علاقات دبلوماسية شابها بعض التوتر، حيث كانت نقطة الخلاف الدائم بين المماليك وبعض سلاطين هذه الدول هو التقارب السياسي والديني الذي كان يحصل أحيانًا بين ملوك المغول وأمراء الحجاز في بعض الأحيان[٣]، وقد خشي سلاطين المماليك من هذا التقارب لما عرفوا عن سلاطين المغول من محاولات جادة لبسط نفوذهم على بعض أمراء مكة لمنافسة السلطة المملوكية في الحجاز[٤]. وحتى نقف على

(١) ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد الصابوني (ت٧٢٣هـ/١٣٢٢م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٥٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، (٩٤/١٣).

(٣) محمد فهد الحصان: علاقات العراق السياسية والحضارية بالحجاز منذ سقوط بغداد حتى نهاية الحكم التيموري ٦٥٦هـ-٩٠٧هـ/١٢٥٨م-١٥٠١م، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الإسلامي بإشراف أ. د. محمد بن سليمان الراجحي، جامعة القصيم، كلية اللغة والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٢٧٢.

(٤) سحر عبد العزيز سالم: صفحات تاريخية إسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، (د.ط)، ٢٠١٣م، ص٢٧٠.

نوع هذه العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والمغول[١]، نتناول بالدراسة كل كيان منهم على حدة.

أ- **مع الإلخانيّين:** بعد سقوط بغداد تأسّست دولة مغولية في العراقين (عراق العرب وعراق العجم) تُتاخم الحدود المملوكية عُرفت – لاحقًا – بالدولة الإيلخانية أو دولة مغول فارس والعراق[٢]، وكان من أهم أقاليم هذه الدولة العراق وإيران[٣]. وبعد وفاة مؤسّسها هولاكو سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، توارث أبناؤه حكم هذه الدولة لما يقرب من قرن من الزمن ٦٥٤هـ-٧٥٤هـ/١٢٥٦م-١٣٥٦م[٤].

(١) وقد استثنيتُ في هذا البحث دولة مغول "القفجاق" (الشيشان) (٦٥٨هـ-٧٤١هـ/١٢٦٠م-١٣٤١م) بقيادة القبيلة الذهبية لأنها كانت دولة بعيدة عن الحدود المملوكية، مع أنها كانت ذات علاقات دبلوماسية متينة مع المماليك. انظر: ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٤٣٠/٥). المقريزي: أحمد بن عليّ القاهري (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٠م، (٤١٢/١).

(٢) استُخدم مصطلح "مغول فارس والعراق" للتمييز بين مغول هذه المنطقة ومغول "القفجاق" (الشيشان) بقيادة القبيلة الذهبية الشهيرة. فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإلخانيين؛ أسرة هولاكو خان، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، (د.ط)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٦.

(٣) جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإلخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٨م، ص٦٧.

(٤) إدوارد فون زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، إخراج زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، مطبعة فؤاد، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥١م، (١٤٨/٢).

وفي مجال العلاقات الدبلوماسية؛ فإن أول محاولة كانت في هذا المجال بين الإلخانيّين والمماليك عندما عرض الملك الإلخاني أبغا خان الصلح على السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٤م[١]، وذلك بعد عام واحد من توليه العرش، ثم تتّبى بإرسال سفارة ثانية سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، ثم ثالثة سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م[٢]، ولكن السلطان المملوكي رفض العرض لشعوره بمسؤولية هذا الملك ومَنْ قبله على ما وقع للمسلمين من سفكٍ لدمائهم[٣].

غير أن هذه الدولة قد ازداد ارتباطها بالعالم الإسلامي منذ اعتناق أول ملوكها للإسلام سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وهو الملك "تاكودار" الذي تسمى بالسلطان "أحمد"[٤] وسارع إلى بناء المساجد والمدارس والتقرب إلى أهل العلم وصرف الأوقاف الإسلامية بحسب شروط الواقفين[٥]، ومن ضمنها محاولته جمع وإرسال أموال أوقاف الحرمين الشريفين[٦]، إلى جانب التقرّب من سلاطين الدولة

(١) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، (٥٥٣/١).

(٢) اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، تحقيق: حمزة عباس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (٤٠٧/٢).

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٧٦م، ص٤٤.

(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص٣٨٦.

(٥) القلقشندي: أحمد بن عليّ الفزاري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد الفراج، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، (١٢٧/٢).

(٦) ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، (٤٦٤/٥).

المملوكية بالقاهرة وإنشاء علاقات حسن الجوار معها[١]؛ فقد سارع الملك أحمد تاكودار مباشرة بعد تولّيه العرش إلى إرسال سفارة دبلوماسية إلى السلطان المنصور قلاوون[٢] لطلب السلام والصلح وإنهاء حالة الحرب القائمة بين أسلافه والمماليك[٣]، لاسيما وأن الدولة المملوكية كانت قد بلغت أوجّ قوتها في عهد هذا السلطان، في حين كانت الدولة الإلخانية تمرّ بمرحلة ضعف بسبب الصراع الداخلي على السلطة بين أبناء وأحفاد هولاكو[٤]. وقد استقبل السلطان المملوكي هذه السفارة بالمبالغة في إظهار الهيبة السلطانية كرسالة واضحة للوفد الإلخاني على قوة دولته، فقد جلس على عرش قاعة الاستقبال في "أحسن الصور

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علّوب، مراجعة: حسن النابودة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (د.ط)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٢٣٥.

(٢) هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون بن عبد الله الصالحي الألفي الجركسي المصري. تولّى العرش سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م بعد خلع الأمراء للملك العادل سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس لصغر سنه، فحارب المغول والصليبيين إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م. انظر عنه: ابن شداد: محمد بن عليّ الحلبي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ط)، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٩٤. ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله المصري (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): مورد اللطافة في من وُلّي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، (٣٧/٢).

(٣) ابن العبري: غريغوريوس بن أهارون الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٥٠٦.

(٤) ابن عبد الظاهر: عبد الله بن رشيد الدين السعدي (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦١م، ص٤٨.

الحسنات، وقد لبس من المجوهر ما يأخذ الأبصار"[١]. وقد قبل السلطان المملوكي العرض الإلخاني وأرسل مع السفارة المغولية الراجعة إلى بلادها رسالة وُدّ وتهنئة للسلطان الإلخاني على اعتناقه الإسلام وعمله على تحقيق السلام، ولكن مع نوع من العتاب الخفي[٢]، وهذا لعدم ثقة المماليك بالمغول الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام ودماء ضحاياهم من المسلمين لم تجفّ بعد.

وبعد رجوع السفارة الأولى، ثنّى السلطان الإلخاني بسفارة أخرى أرسلها إلى القاهرة آخر سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م لوضع الأسس النهائية للسلام بين الدولتين[٣]، وقد استقبل السلطان المملوكي هذه السفارة في دمشق بنفس الحفاوة المشوبة بالحذر والحيطة[٤]، غير أن وصول خبر مقتل السلطان الإلخاني إلى السلطان قلاوون قبل لقائه بوفد السفارة الإلخانية بأيام[٥]، جعل السلطان المملوكي يهمل أمر هذه السفارة ويأذن لأعضائها بالرجوع إلى بلادهم بعد أشهر من استقبالهم[٦].

---

(١) العسقلاني: شافع بن عليّ الرواحي (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م): الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٣٣.

(٢) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص١٢.

(٣) ابن الفرات: محمد بن عبد الرحيم الحنفي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات، تحرير: قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٨م، (٢٧٨/٧).

(٤) بدر الدين العيني: محمود بن أحمد الحنفي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (٢٩٦/٢).

(٥) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٦٨.

(٦) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، (١١/٨). بدر الدين العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (٣١٩/٢).

وبعد سنوات قليلة، أرسل السلطان الإلخاني خُدابندا[١] إلى السلطان الناصر محمد سفارة لأجل إحياء الصلح والسلام بين الدولتين، لاسيما بعد أن أعلن مغول القفجاق وقوفهم مع المماليك في حربهم ضد الإلخانيّين مستقبلاً[٢]. وبعد موت السلطان خُدابندا أرسل ابنه وخليفته على العرش أبو سعيد[٣] ثلاث سفارات دبلوماسية إلى المماليك بين سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م وسنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، وقد استُقبلت جميعها بحفاوة من طرف السلطان المملوكي[٤]،

(١) هو خُدابندا – ومعناه عبد الله – ابن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغولي الجنكزخاني، المعروف بأولجاتيو محمد. ملك العراقين وخراسان وأذربيجان وأرمينية وديار بكر. كان حسن الإسلام، موصوفًا بالكرم، محبًّا للّهو والتعمير. توفي بعاصمة ملكه السلطانية في رمضان سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م وقد جاوز الثلاثين من العمر، وكانت مدة ملكه ١٣ سنة. انظر عنه: الصفدي: خليل بن أيبك المصري (ت٧٦٤هـ/١٣٦٤م): الوافي بالوفيات، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، نشر فرانز شتايز، شتوتغارت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، (٢٢٧/١). ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، (٤٠/٦).

(٢) ابن الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت بعد ٧٣٦هـ/١٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦٥م، (١٢٨/٩).

(٣) هو أبو سعيد بهادر خان ابن محمد خُدابندا ابن أراغون المغولي الجنكزخاني. كان ملكًا فاضلاً كريمًا. تولّى حكم العراقين نحوًا من عشرين سنة، من سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م إلى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وكان عمره يوم توليه الملك عشر سنوات. توفي بقراباغ بأذربيجان في ربيع الآخر سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وكان له من العُمر ٣٢ سنة. انظر عنه: ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة حيدرآباد، الهند، ١٣٥٠هـ، وتصوير: دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (٣٤/٢). زامباور: الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، (٣٦٢/٢).

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، (١٣٨/١٤).

ثم أجابهم للصلح بأن أرسل سفارات مماثلة إلى البلاط الإلخاني[١]، وقد أدّت هذه السفارت في النهاية إلى عقد صلح وسلام دائم بين الدولتين[٢]، لاسيما بعد أن ترسّخ الإسلام بين مغول فارس والعراق وتراجعت سياسة ملوكهم في التوسع على حساب أراضي جيرانهم من المماليك.

ب- مع الجلائريّين: تفكّكت الدولة الإيلخانية - بعد وفاة آخر سلاطينها أبو سعيد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م - إلى عدة كيانات وأقاليم بسبب الصراع الذي وقع بين رجالها على السلطة[٣]، وكان من أهم هذه الكيانات الدولة الجلائرية التي قامت في كل من العراق وخوزستان وديار بكر سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م بقيادة الملك حسن[٤] المعروف بحسن بزرك أي الكبير[٥].

(١) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، (٣٠٥/٢).

(٢) أبو الفداء: إسماعيل بن عليّ الأيوبي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ص٥٠١. ابن خلدون: كتاب العبر، (٤٤٠/٥).

(٣) عباس إقبال: المرجع السابق، ص٣٤٤.

(٤) هو تاج الدنيا والدين حسن بن حسين كوركان ابن آقبقا الجلائري المغولي، مؤسس الدولة الجلائرية. تولّى الملك مدة سبعة عشر سنة، فحرص خلالها على توثيق عرى الصداقة مع السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وضرب باسمه السكة وأقام له الخطبة ببغداد. توفي ببغداد سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م. انظر عنه: المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، (٣٩٥/٣).

(٥) محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام الإلخانيين، دار النفائس، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣٣٣ .

وتكمن أهمية هذه الدولة أنها امتداد للدولة الإيلخانية نظرًا لصلة القرابة والنسب التي كانت بينهم[١].

وعلى سيرة سلفهم الإيلخانيّين، فقد كانت للجلائريّين علاقات دبلوماسية قوية ومتينة بالمماليك في القاهرة، حيث استعانت بهم السلطة المملوكية مرارًا في تعقّب الخارجين عليها والهاربين إلى مناطق سيطرة هذه الدولة[٢]، ولهذا كان المماليك يقدّرون للجلائريين هذا التعاون، بل ويتغاضون عن بعض أعمالهم في منطقة نفوذ المماليك؛ ويظهر ذلك في إقدام الملك حسن بزرك على قتل حاكم الحلّة[٣] الشريف أحمد ابن أمير مكة رميثة[٤] ابن أبي نمي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م عندما حاول السيطرة على هذه المنطقة[٥]، ولم تعترض السلطة المملوكية على

(١) شعبان ربيع طرطور: الدولة الجلائرية، دار لهداية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٧.

(٣) الحلّة: وتُعرف بحلّة بني مزيد؛ وهي مدينة على الفرات بين الكوفة وبغداد. كانت سابقًا أجمة تأوي إليها السباع ثم نزلها وعمّرها صدقة بن منصور الأسدي فنُسبت إليه، وقد نزلها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن والدور الفاخرة فقصدها التجار وصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها. ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (٢/٢٩٤).

(٤) هو رميثة بن محمد بن حسن القرشي المكي. تولّى إمارة مكة شراكة مع أخيه حميضة سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م ثم اختلفا فاقتتلا طويلاً إلى أن استطاع الاستقلال بالإمارة سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م، وظلّ كذلك إلى أن تنازل عنها لولديه سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. توفي بمكة سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٦م. انظر عنه: الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (٤/٣٨٩). ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٢/١١١).

(٥) العز ابن فهد: عبد العزيز بن عمر المكي (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م): غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم شلتوت، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، (٢/١١٠).

ذلك بل شجّعت الأمير عجلان[١] – الذي خلف رميثة على إمارة مكة – على مصالحة الملك الجلائري[٢]، فأجاب أمير مكة إلى ذلك وأرسل أحد أبنائه إلى بغداد لتوثيق عُرى الصلح[٣]، فأرسل الملك الجلائري إلى أمير مكة كثير من الهبات والهدايا، منها قناديل ذهب وفضة لتُعلّق في جوف الكعبة المعظمة[٤].

وفي صفر سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٤م أرسل الملك الجلائري أحمد شاه[٥] سفارة إلى القاهرة تحمل هدية للسلطان المملوكي برقوق[١]، ثم ثنّى بسفارة أخرى في

(١) هو عجلان بن رميثة بن محمد القرشي المكي. تولّى الإمارة سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م ثم نازعه عليها إخوته فتداولوها شراكة بعد صراع، وظلّ على الإمارة إلى أن توفي بمكة سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م. انظر عنه: الفاسي: محمد بن أحمد المكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١ تحقيق: محمد حامد الفقي، ج٢–ج٧ تحقيق: فؤاد السيّد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٨هـ، (٥٨/٦). ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، (١١٥/١).

(٢) ابن عنبة: أحمد بن عليّ الحسني (ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص١٢١.

(٣) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (٣١٣/٤).

(٤) ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، (٨٢/١).

(٥) هو غياث الدين أحمد شاه ابن أويس بن حسن الجلائري المغولي، آخر ملوك الدولة الجلائرية ببغداد. تولّى الحُكم سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م بعد أن قتل أخاه الملك حسين. هرب من تيمورلنك إلى القاهرة سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م فأكرمه السلطان برقوق. توفي قتيلاً بالقرب من تبريز سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م وذلك في صراعه مع منافسه الأمير قرا يوسف التركماني (ت٨٢٢هـ/١٤٢٠م)، حيث انتهت الدولة الجلائرية وقامت الدولة البارانية (القراقوينلو) التي كانت معادية للدولة المملوكية. انظر عنه: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، (٣٩/١٢). ابن العماد: الشذرات الذهب في أخبار من ذهب، (١٠١/٧).

شوال سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٧م يحذّر فيها السلطان المملوكي من تحركات السلطان تيمورلنك[٢] في منطقة أذربجان[٣]. ثم استمرّت المراسلات بين السلطانين الجلائري والمملوكي بعد زيادة خطر التيموريين الذين تمكنوا في الأخير من احتلال بغداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م[٤]، فلجأ السلطان أحمد شاه إلى القاهرة فأكرمه السلطان برقوق إكرامًا عظيمًا، ثم أعاد له ملكه وردّه إلى عاصمة بلاده بغداد في السنة التالية – بعد خروج التيموريين منها – على أن يكون تابعًا للسلطة المملوكية[٥].

ج- **مع التيموريّين:** ظهر التيموريون على حدود الدولة المملوكية بعد مقتل آخر ملوك الدولة الجلائرية – وهو أحمد شاه بن أويس – بالقرب من بغداد سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م[٦]، حيث ملكت الدولة التيمورية موروث الدولة الجلائرية

=

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس (أنص) الجركسي. أول سلاطين المماليك من الجراكسة. تقدّم في المناصب حتى تسلطن سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ثم فقد العرش بتدبير الأمراء لعشر سنوات ثم استرجعه سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م. توفي بالقاهرة سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. انظر عنه: ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، (٥٠/٤). المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، (١٢٢/٤).

(٢) ستأتي الترجمة للسلطان تيمورلنك عند الحديث عن العلاقات المملوكية التيمورية.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، (٤٧٨/٣).

(٤) الغياثي: عبد الله بن فتح الله البغدادي (ت بعد سنة ٨٩١هـ/١٤٨٥م): تاريخ الدول الإسلامية في الشرق (المعروف بتاريخ الغياثي)، دراسة وتحقيق: نافع الحمداني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص١٢٢.

(٥) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، (٤٩١/٣).

(٦) الغياثي: تاريخ الدول الإسلامية في الشرق، ص١٤٣.

في المنطقة بقيادة شاه رُخ[١] ابن تيمورلنك الذي ظلّ على الحُكم لأكثر من أربعين سنة، استقرّت فيها البلاد وازدهرت في مختلف النواحي الحضارية[٢]، غير أنه بوفاة الملك شاه رُخ سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م غرقت الدولة التيمورية في الفتن والحروب بين أحفاد تيمورلنك[٣]، ولم يعد لحكام تلك المناطق نفوذهم في العالم السياسي الإسلامي.

وقد اتّسمت العلاقات بين الدولة التيمورية والدولة المملوكية بالتوتّر والعداوة المتصاعدة منذ عهد الملك تيمورلنك[٤] الذي كان – على طغيانه

(١) هو معين الدين شاه رُخ بن تيمورلنك بن طرغان الكركاني المغولي. كان يحب أهل العلم والصلاح، ويكرمهم ويقضي حوائجهم. توفي بالفالج بعد أن تحرّك لغزو الشام سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م. انظر عنه: ابن عرب شاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، (١٧٢/١). السخاوي: محمد بن عبد الرحمن المصري (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، (٢٩٧/٣).

(٢) جاستن مرودي: تيمورلنك قاهر الملوك والسلاطين وغازي العالم، ترجمة: مايا أرسلان، مراجع: هاني تابري ، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، ٢٠١١م، ص٤٠٦.

(٣) ابن طولون: محمد بن عليّ الحنفي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٦١.

(٤) هو تيمور بن ترغاي بن أبغاي الكشي، الشهير بتيمورلنك، ومعناه الأعرج. بدأ أمره عندما سيطر على تركستان وسمرقند وما حولها سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م ثم دخل بغداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م ثم حلب ودمشق سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وبعدها غادر المنطقة ورجع إلى بلاده، ثم حارب العثمانيين وهزمهم، ثم توجه إلى الهند فملكها، وبعدها رجع إلى عاصمة مملكته سمرقند فتوفي بها سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م. ابن عربشاه: أحمد بن محمد الدمشقي (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م): عجائب المقدور في أخبار تيمور، تقديم وإعداد: خيري الذهبي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م، ص١ وما بعدها. ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٧٥هـ/١٩٥٩م، (٣٨٧/١).

وجبروته – ينكر على ملوك وسلاطين العالم الإسلام – ومنهم المماليك – تقاعدهم عن الجهاد وأخذهم الجباية من المسلمين(١)، وقد اتّخذ من ذلك ذريعة لغزو الأراضي المملوكية واحتلال معظم مدن بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م(٢)، لاسيما بعد أن سعى تيمورلنك إلى التطلع إلى "الخلافة الإسلامية" بعد اشتهاره في العالم الإسلامي، كما أن قتْل السلطان المملوكي برقوق – في مخالفة واضحة للقواعد الدبلوماسية – لرُسل السفارة التيمورية المرسلة إلى القاهرة سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م لحثّ المماليك على عدم التعاون مع الجلائريّين بعد احتلال التيموريون لعاصمة الجلائريّين بغداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م(٣)، كان ممّا عجّل وزاد من هذا العداء بين تيمورلنك والمماليك. وقد كانت السفارات الدبلوماسية وتبادل الرسائل التفاوضية مستمرة بين الجانب المملوكي والتيموري بين سنوات ٧٩٦هـ-٧٩٩هـ/١٣٩٤م-١٣٩٧م ولكن لم تثمر نتائج إيجابية(٤).

كذلك؛ فإن الأمراء التيموريّين المعارضين لسلطة ملكهم أو المتطلعين إلى العرش كانوا كثيرًا ما يلجؤون بعد انهزامهم إلى أقاليم الدولة المملوكية – لاسيما

(١) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، (٥٦/٦).

(٢) ابن عرب شاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، (١١٢/١).

(٣) ابن صصري: محمد بن محمد الشامي (ت بعد ٨٠١هـ/١٣٩٩م): الدرة المضيئة في أخبار الدولة الظاهرية، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، (د.ط)، ٢٠١٤م، ص١٦٤.

(٤) محمد سالم باعامر: صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي في عهد تيمورلنك، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الإسلامي، إشراف: محمد جبر أبو سعدة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٣٧١.

الحجاز – كنوع من اللجوء السياسي[١]، وقد أدّت جميع هذه الأسباب لاستفحال العداوة بين المماليك والتيموريّين، ولم تقم بين الطرفين علاقات سلام إلا اضطرارًا، وذلك عندما أرسل تيمورلنك سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م سفارة دبلوماسية إلى السلطان المملوكي الناصر فرج[٢] – مستغلاً وفاة السلطان القويّ برقوق وتولّي ابنه الغرّ – يدعوه إلى الصلح والسلام ويطلب منه إطلاق صراح أحد أمرائه[٣] المسجون في القاهرة ويتوعّده بغزو مصر وتخريبها إن لم يطلق سراح نائبه[٤]، فنفّذ السلطان المملوكي رغبة تيمورلنك وأطلق الأمير التيموري وخلع عليه وأنعم

(١) مايكل ن. بيرسون: الحج إلى مكة؛ الخبرة الهندية (١٥٠٠م–١٨٠٠م)، ترجمة: محمد حسن خليفة، إشراف: أبو بكر أحمد باقادر، دار كنوز المعرفة، جدة، ط١، ٢٠١١م، ص١٦١.

(٢) هو الملك الناصر زين الدين فرج ابن برقوق بن أنص – أو أنس – الجركسي اليلبغاوي العثماني المصري. ثاني سلاطين المماليك من الجراكسة. بويع بالملك بعد وفاة أبيه سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م وعمره عشر سنوات فقام بتدبير ملكه الأتابك إيتمش، وبعد فتن وقلاقل سياسية نادى الأمراء بخلعه فأرسل إليهم يطلب الأمان فقيّدوه وسجنوه في قلعة دمشق ثم أثبتوا عليه الكفر وقتلوه بالقلعة سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، وكان له من العُمر ٢٤ سنة. انظر عنه: ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، (٨٩/٧). المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، (٢٨١/٣).

(٣) وهو الأمير أطلمش نائب تيمورلنك على بعض القلاع القريبة من مدينة تبريز، وقيل كان نائبه على مدينة الرُها. وكان هذا الأمير من أقرباء تيمورلنك، وكان الأمير التركماني قرا يوسف – المتحالف مع المماليك – قد أسره في إحدى غزواته وأرسله إلى السلطان المملوكي في القاهرة. انظر عنه: ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، (٤٥٣/٩). ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، (٣٠٦/١).

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، (٥٠٩/١).

عليه بخمسة آلاف درهم وردّه مع السفارة التيمورية[١]، وكان فعل السلطان المملوكي هذا بعد أن عرف قوة التيموريّين لاسيما بعد هزيمتهم للعثمانيّين وأسرهم سلطانهم[٢]. غير أن رضوخ السلطان المملوكي لتيمورلنك قد جلب له عطف الأخير، حيث ذكرت المصادر التاريخية أن تيمورلنك كان يرسل إلى السلطان فرج سفارات محملة بالهدايا الفاخرة، كما اعتذر له على هجومه على بلاد الشام وما وقع فيها من مآسي[٣]. وكان تيمورلنك قد أرسل هذه السفارات في الأشهر الأخيرة من وفاته (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، ولو عاش لكانت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين المملوكية والتيمورية في أقوى حالاتها، على الأقل إلى نهاية حُكم السلطان فرج.

واستمرّ الخلاف الدبلوماسي الذي كان يجري بين الدولتين في عهد الملك شاه رُخ الذي كان له طموح في السيطرة على أقاليم الدولة المملوكية، لاسيما على الحرمين الشريفين؛ فراح يُنكر على المماليك – على طريقة والده تيمورلنك – فرضهم المكوس على أهالي الحرمين الشريفين خصوصًا وعلى المسلمين بوجه عام[٤]، لاسيما بعد أن اشتطّ السلطان المملوكي برسباي[٥] في تحصيل تلك

(١) ابن شاهين: عبد الباسط بن خليل الظاهري (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدُّول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، (٨٥/٩). المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، (٥١١/٣).

(٢) أحمد عبد الكريم سليمان: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٩.

(٣) محمد باعامر: صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي في عهد تيمورلنك، ص٣٧٦.

(٤) الطبري: محمد بن عليّ المكي (ت١١٧٣هـ/١٧٥٩م): إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني حسن، تحقيق: محسن محمد سليم، جامعة الأزهر، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٠٥.

(٥) هو الملك الأشرف سيف الدين برسباي بن عبد الله الدقماقي الظاهري الجركسي. ترقّى في =

الضرائب وإرغام قضاة المذاهب الفقهية الأربعة بالقاهرة إلى القول بجواز تحصيل تلك الأموال[١]. وكان الملك التيموري شاه رُخ قد حقد على السلطة المملوكية بعد منعها إياه من كسوة الكعبة المعظمة عن طريق ركب الحج التيموري وإصرار الملك التيموري على ذلك كوسيلة منه لبسط نفوذه على الحرمين الشريفين لاكتساب المهابة والاحترام في العالم الإسلامي[٢].

ثانيًا: الدبلوماسية المملوكية مع دول المغرب الإسلامي:

لقد كانت علاقة المغرب الإسلامي وطيدة بمشرقه، حيث أسهم في ذلك جُملة من العوامل التي عزّزت هذه العلاقة وقوّت تلك الرابطة، منها وحدة الدِّين واللغة والرحلة إلى الحج وطلب العلم، هذا فضلاً عن العلاقات الدبلوماسية التي ربطت بين حكّام المنطقتين والتي كانت في غالبها علاقات حُسن جوار وتعاون، يشهد على ذلك العلاقات المرابطية في عهد عليّ بن يوسف بن تاشفين (ت٥٣٧هـ/١١٤٣م) مع العباسيّين في عهد الخليفة المستظهر بالله (ت٥١٢هـ/١١١٨م)، أو تلك العلاقات الموحدية في عهد المنصور الموحدي (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) والفاتح صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م)[٣].

=

المناصب العسكرية والإدارية إلى أن تسلطن سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م، وكان مبجّلاً، منقادًا للشريعة، يحبّ أهل العلم ويعمّر المدارس والأوقاف في مصر والحرمين الشريفين. توفي بالقاهرة سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م. انظر عنه: المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، (٤٤٠/٣). ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولّي السلطنة والخلافة، (١٥١/٢).

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، (٤٢٩/٦).

(٢) محمد الحصان: علاقات العراق السياسية والحضارية بالحجاز، ص١٦٣.

(٣) رابح مغراوي: منهج ابن الخطيب في التأريخ للمشرق من خلال تحقيق الجزء الأول من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، (د.ط)، ٢٠٠٠م، ص٢٠٢.

ومن جهة أخرى، فقد حرص سلاطين المغرب الإسلامي على توطيد علاقاتهم الدبلوماسية بالمماليك لأجل البقاع المقدسة والتوصية بالحجاج خاصة(١)، ولهذا كانوا في الغالب الأعمّ يرسلون سفيرهم مع ركب الحاج مرفوقٌ بالهدايا والرسائل(٢). وقد زادت هذه العلاقة الرابطة بين السفارة الدبلوماسية المغربية وركب الحج من عناية المماليك بالسفير المغربي، بل ومن عناستهم بالمغاربة عمومًا حيث كثُر توافدهم إلى مصر في الرحلة لطلب العلم أو للتجارة(٣). وحتى نقف على طبيعة الدبلوماسية المملوكية في تعاملها سياسيًّا مع دويلات المغرب الإسلامي الثلاث التي نشأت عقب سقوط الدولة الموحدية، نذكر أهمّ تلك السفارات المتبادلة بين الطرفين وفق الترتيب التالي:

أ- **مع المرينيّين:** كانت الدولة المرينية الوريث الأساسي للدولة الموحدية بعد سقوطها؛ فبالرغم من المنافسة الزيانية والحفصية إلا أن المرينيّين تميزوا بحملهم مشروع توحيد بلاد المغرب الإسلامي والقيام بواجب الجهاد في الأندلس(٤)، لاسيما بعد استفحال حركة الاسترداد الصليبية التي كانت تجري

(١) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٧١.

(٢) أمال سالم عطية: السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، شهادة دكتورة غير منشورة في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي (معسكر)، الجزائر، ١٤٣٧هـ/٢٠٠٦م، ص١١٦.

(٣) مزاحم علاوي الشاهري: الحضارة العربية الإسلامية في المغرب؛ العصر المريني، مركز الكتاب الأكاديمي، الرباط، (د.ط)، (د.ت)، ص٩٠-٩٣.

(٤) عبد الرحمن بالأعرج: علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك سياسيًّا وثقافيًّا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، الجزائر، ٢٠١٣م، ص١١٣.

على قدم وساق منذ مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادى، ولهذا؛ فقد كانت علاقة المماليك الدبلوماسية بالمرينيّين أقوى من علاقتهم بجيرانهم الزيانيّين والحفصيّين، لأنهم كانوا يرون في الدولة المرينية دولة ندّ، وأنها أحق بقيادة بلاد المغرب الإسلامي[١]. وبدورهم أدرك المرينيون مكانة الدولة المملوكية في العالم الإسلامي فاحترموا هذه المكانة وبادلوا المماليك الودّ والصفاء بما أرسلوه من سفارات كانت تحمل الهدايا الملكية الفاخرة من ثياب وخيل وبغال وعبيد[٢]، وهذا بدأً من سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م ثم في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م وانتهاءً بسفارة سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م التي كانت سفارة جليلة بالغ السلطان المريني أبو يعقوب يوسف[٣] في تجهيزها، وكان وراء هذه المبالغة هو تأكيد المودّة والصفاء من طرف السلطان المريني اتجاه السلطان

(١) عبد الرحمن بالأعرج: علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك سياسيًّا وثقافيًّا، ص١١٣.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب: محمد بن عبد الله السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إفرست ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط٢، ١٩٥٦م، ص٦٣٨.

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الزناتي المريني. تولّى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، وأبلى في الصراع الإسلامي النصراني هناك البلاء الحسن. توفي وهو محاصر لمدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م. انظر عنه: ابن الأحمر: إسماعيل بن يوسف الغرناطي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): روضة النسرين في أخبار دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٢. السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت بعد سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري، إشراف: محمد حجي وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ط)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، (٦٦/٣).

المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[١]، حيث أدرك السلطان المريني أهمية تعزيز الصداقة مع المماليك، خاصة بعد أن أرسل بعض أشراف مكة – سرًّا – البيعة للسلطان المريني والشكوى من صاحب مصر[٢]، ولهذا أراد السلطان المريني بمبالغته في إعداد السفارة المرينية عدم إثارة حفيظة المماليك وتأكيد سيادتهم على الحرمين الشريفين وحفظ هيبتهم كدولة عظمى بين دول المنطقة، وقد أكّد ذلك مظاهر احتفال السلطان المريني بقدوم سفارة الممالك إلى بلاده سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م[٣]، فبعد وصول هذه السفارة انتظمت العلاقات الدبلوماسة بين الدولتين وظل الطرفان يتبادلان المخاطبات والهدايا والمكافآت[٤]، خاصة في عهد السلطان أبو الحسن المريني[٥]، حيث بلغ عدد

(١) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله المصري الجركسي. أكبر سلاطين المماليك بمصر والشام. تولّى السلطنة سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م ولكن بشكل إسمي فقط لأكثر من عشرين سنة، ولم يتولاّها فعليًّا إلا بعد قتله للأمير بيبرس الجاشنكير فدانت له البلدان وراسله الملوك. توفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. انظر عنه: الصفدي: خليل بن أيبك الدمشقي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: عليّ أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ص٥١٨. ابن كثير: البداية والنهاية، (٢٢٢/١٤).

(٢) رابح مغراوي: منهج ابن الخطيب في التأريخ للمشرق، ص٢١٧.

(٣) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): التعريفات (أو رحلة ابن خلدون)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٧٢.

(٤) عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، دار نشر المعرفة، الرباط، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (٢٤٩/٢).

(٥) هو أبو الحسن عليّ بن عثمان بن يعقوب المريني، الملقب بالمنصور بالله. بويع بالسلطنة بفاس بعد وفاة والده سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. اشتهر بعمله على توحيد المغرب الإسلامي تحت راية واحدة وبالجهاد في الأندلس لمساعدة بني الأحمر في غرناطة لردّ =

السفارات الدبلوماسية المتبادلة بين الدولتين تسع سفارات منذ سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م[١]، وهي السنة التي سيطر فيها السلطان المريني على كامل المغرب الإسلامي فبادر إلى إخبار السلطان المملوكي الناصر محمد بـ "الفتح وارتفاع العوائق عن ركب الحاج وسابلتهم"[٢]، كما أخبره بانتصاره على نصارى الأندلس وإخماده لتمرد أخيه في منطقة سجلماسة[٣] جنوب المغرب[٤].

ب- مع الزّيانيّين: لم يُبادر المماليك إلى توطيد علاقتهم الدبلوماسية مع الزيانيّين لميلهم إلى المرينيّين الذين كانوا يكثرون من إرسال السفارات الدبلوماسية المحملة بالهدايا الفاخرة إلى القاهرة، كما أن المماليك كانوا يرون في المرينيّين القوة التي تستطيع حمل لواء الجهاد ضد الصليبيّين في الأندلس[٥]، كما أن تعاملهم مع جيرانهم المباشرين من الحفصيّين قلّل من

=

الزحف الصليبي. توفي بالجنوب المغربي سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م بعد عزله عن العرش من طرف ابنه أبي عنان، وكان له من العُمر يوم وفاته ٥٥ سنة. انظر عنه: السلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (٤/١٣٣-١٣٥).

(١) عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، (٢/٢٥١).

(٢) ابن خلدون: كتاب العبر، (٧/٢٦٤).

(٣) سجلماسة: بلدة مسورة على مشارف الصحراء الغربية، في وسطها حصن به دار الإمارة، بينها وبين مدينة فاس عشرة أيام. شديدة الحر والبرد جميعًا، كثيرة الخيرات، كثيرة الغرباء والتجار لوقوعها على طريق تجارة الذهب بالسودان الغربي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٣/٢١٧).

(٤) محمد المنوني: ورقات عن الحضارة المرينيين، ص١٣٧.

(٥) عبد الرحمن بالأعرج: قراءة في العلاقات السياسية بين دولة بني زيان والمماليك من خلال المراسلات الدبلوماسية بين القرنين ٧-٩هـ/١٣-١٥م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد ٢، العدد ٤، جوان ٢٠١٤م، ص١٦٢.

احتفالهم بالزيانيّين لاسيما بعد أن اعترف بنو زيان بخلافة بني حفص على المنطقة وأنهم ورثة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي[١]، هذا فضلاً على الحرب الدائمة والعداوة المستمرة التي كانت قائمة بين المرينيّين والزيانيّين مما جعل المماليك يتردّدون في توسيع علاقتهم الدبلوماسية بالزيانيّين حتى لا يثيرون غضب حلفائهم المرينيّين. وكانت العداوة بين بني زيان وبني مرين قد ألحقت خرابًا كبيرًا بالمنطقة وهو ما يفسر عدم وجود مراسلات دبلوماسية بين مؤسّس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان[٢] والمماليك محفوظة إلى وقتنا الحاضر، إذا ربما طال الخراب هذه المراسلات، هذا إلى جانب عدم تركيز المصادر المغربية والمشرقية على الدولة الزيانية وحكامها، وهي الدولة التي تعرّض كيانها للإختفاء مرارًا على أيدي المرينيّين خاصة وعلى أيدي الحفصيّين بشكل أقل[٣].

(١) أبو بكر ابن خطاب: محمد بن عبد الله المرسي (٦٨٦هـ/١٢٨٧م): كتاب فصل الخطاب، تحقيق: أحمد عزاوي، ضمن كتاب: المغرب والأندلس في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، طبعة ربانت، الرباط، (د.ط)، ٢٠٠٨م، ص١٣٥.

(٢) هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت العبد الوادي البربري التلمساني. أول ملوك الدولة الزيانية. وهو أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك. كان شجاعًا فاضلاً متواضعًا، يُكثر من مجالسة العلماء والصالحين. توفي غرب الجزائر سنة ٦٨١هـ/١٢٨٣م، وكان له من العُمر ٧٦ سنة، وكانت مدة حكمه خمسين سنة. انظر عنه: ابن خلدون: يحي بن محمد الحضرمي (ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م): بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول: تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، (د.ط)، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، (١٠٩/١). السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (٥٦/٣).

(٣) عبد الرحمن بالأعرج: قراءة في العلاقات السياسية بين دولة بني زيان والمماليك، ص١٦٢.

ومن جهتهم؛ كان الزيانيون يجتهدون في خطب وُدّ المماليك لقوة دولتهم ومكانتهم في العالم الإسلامي؛ فهذا السلطان الزياني عبد الرحمن الأول[١] أرسل خطاب دبلوماسي إلى السلطان الناصر محمد سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م كان مما ورد فيه: "وقد وجب شكركم علينا من كل الجهات، واتصلت المودة والمحبة طول الحياة، غير أن في قلوبنا شيئًا من ميلكم إلى غيرنا واستئناسكم"[٢]، وهذا عتاب واضح لميل المماليك إلى المرينيّين وتفضيلهم ديلوماسيًّا على الزيانيّين، بل إن المماليك في هذه الفترة (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) كانوا يميلون إلى الحفصيّين على حساب الزيانيّين في صراع الطرفين للسيطرة على مدينة بجاية[٣][٤]. فالسلطان

(١) هو أبو تاشفين عبد الرحمن (الأول) ابن أبي حمو موسى (الأول) ابن أبي سعيد عثمان ابن يغمراسن العبد الوادي البربري التلمساني. تولّى الملك بعد أن قتل والده سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. كان فيه ميلٌ إلى النعيم واللهو، وله عناية بالعمران والصناعات. قُتل على يدي السلطان المريني أبو الحسن سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م في قصره بتلمسان بعد حصار دام أشهر، وكان له من العُمر يوم مقتله ٤٥ سنة. انظر عنه: يحيى ابن خلدون: بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (١٣٩/١). ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (١١٥/٦).

(٢) القلقشندي: أحمد بن عليّ الفزاري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ط)، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، (٨٦/٨).

(٣) بجاية: مدينة ساحلية على البحر الأبيض اختطها بنو زيري الصنهاجيين سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م. بينها وبين مدينة الجزائر مسيرة أربعة أيام (حوالي ١٦٠ كلم). وكانت بجاية في العهد الوسيط قاعدة المغرب الأوسط، لها مرسى عظيم به دار لصناعة السفن. الحميري: محمد بن محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص٨٠. ياقوت الحموي: معجم البلدان: (٤٠٣/١).

(٤) أحمد عزاوي: العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة؛ الغرب الإسلامي والشرق الإسلامي/الشرق والغرب المسيحي: القرنان ٧-٨هـ/١٣-١٤م، مطبعة ربانت، الرباط، (د.ط)، ٢٠١١م، (١١٤/٢).

الزياني – في ظل قوة دولته آنذاك – كان يبحث عن إقامة علاقة دبلوماسية مع المماليك الأقوياء في ظل الاحترام المتبادل[١]، حيث ورد في الخطاب السابق قول السلطان الزياني: "ونحن – والحمد لله – أعلم الناس بما يجب من حقوق ذلك المقام الشريف، ولنا القدرة على القيام بواجبكم والوفاء بكريم حقكم"[٢]، إلى أن قال: "وغرضنا أن تُعرّفوه (حامل الخطاب) بجميع ما يصلح لذلك المقام الشريف مما في بلادنا، ويصلكم إن شاء الله في أقرب الأوقات على أحسن الحالات، ولكم بذلك علينا المنّة العظمى والمزية القصوى، والله تعالى يبقي ذلك المقام الشريف محروس المذاهب، مشكور المناقب"[٣].

ومع كل هذا التودّد، فقد ظلّت العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والزيانيّين فاترة لسنين طويلة، على الأقل في عهد السلطان الناصر محمد الذي حقد على الزيانيّين منذ حادثة نهب أعراب زغبة[٤] القاطنين في المغرب الأوسط ركب السفارة المرينية المتوجه إلى مصر سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م[٥]، وكان الاعتقاد

(١) عبد الرحمن بالأعرج: قراءة في العلاقات السياسية بين دولة بني زيان والمماليك، ص١٦٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (٨/٨٦).

(٣) المصدر نفسه، (٨/٨٧).

(٤) بنو زغبة من عرب بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وكان ينضوي تحتهم عدة بطون أشهرها بنو رياح، وكانت ديارهم من المسيلة (شرق الجزائر) إلى تلمسان (شرق الجزائر) بمنطقة التيطري. ابن حزم: عليّ بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٧٢م): جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (١/٢٧٣). مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٢م، ص١٥٥.

(٥) ابن خلدون: كتاب العبر، (٥/٩٠٥) .

لدى المماليك أن السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول[١] هو من دبّر عملية الهجوم لإحراج أعدائه المرينيّين سياسيًّا أمام حلفائهم المماليك[٢]، وقد أرسل السلطان المملوكي إلى نظيره الزياني يحتجّ على عدم تأمين المسالك في بلاده[٣]، ثم قام السلطان المملوكي بوقف إرسال السفارات إلى بلاد المغرب لسنوات رغم محاولة المرينيّين والزيانيّين إصلاح ما فسد من علاقة دبلوماسية بعد الحادثة المذكورة[٤].

وقد مرّت سنوات طويلة على فتور العلاقات الدبلوماسية المملوكية الزيانية إلى أن أحياها السلطان الزياني أبو زيان محمد[٥] عندما ردّ على السفارة التي

(١) هو أبو حمو موسى (الأول) ابن أبي سعيد عثمان ابن يغمراسن العبد الوادي البربري التلمساني. رابع ملوك الدولة الزيانية في تلمسان وبلاد المغرب الأوسط. تولّى العرش بعد وفاة أخيه سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، وقضى معظم سنوات حكمه في ردّ هجمات المرينيّين. كان فظًّا غليظًا حازمًا يقظًا. قتله ولده عبد الرحمن الأول لتقديمه غيره عليه وذلك سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، وكان له من العُمر يوم مقتله ٥٣ سنة. انظر عنه: يحيى ابن خلدون: بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (١٢٩/١). ابن الأحمر: روضة النسرين في أخبار دولة بني مرين، ص٣٦.

(٢) ابن خلدون: كتاب العبر، (٤٧٠/٧).

(٣) عبد الرحمن بالأعرج: علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك سياسيًّا وثقافيًّا، ص١٢٠.

(٤) ابن خلدون: كتاب العبر، (٢٢٧/٧).

(٥) هو أبو زيان (الأول) محمد ابن أبي سعيد عثمان ابن يغمراسن العبد الوادي البربري التلمساني. ثالث ملوك الدول الزيانية. تولّى الملك بعد وفاة والده سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، وكان فاضلاً لين الجانب. توفي سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٨م، وكان له من العُمر ٤٨ سنة، وكانت مدة ملكه أربع سنوات. انظر عنه: يحيى ابن خلدون: بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (١٢٤/١). خير الدين بن محمود الزركلي: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، (٢٦١/٦).

أرسلها إليه السلطان المملوكي الظاهر برقوق سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م، بسفارة تحمل معها قصيدة من نظم السلطان الزياني يمدح فيها نظيره المملوكي(١).

ج- **مع الحفصيّين:** كانت الدولة الحفصية سبّاقة إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع المشرق قبل قيام الدولة المملوكية؛ فقد ذكرت المصادر أن الحفصيّين كانت لهم علاقات مع الدولة الأيوبية في عهد السلطان الملك الصالح أيوب (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وكانت معظم المراسلات بين الطرفين تتعلق بتبادل المعلومات حول التحركات الصليبية ضد المسلمين في المشرق والمغرب(٢).

غير أن العلاقات الدبلوماسية مع المماليك لم تكن موفقة في بداية قيام الدولة المملوكية بعد أن أدرك المماليك ما يرنوا إليه الحفصيون من السيطرة على العالم الإسلامي بعد ورود البيعة لهم من أمير مكة وشريفها سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، فقد أرسل الأخير رسالة دبلوماسية تتضمن نص بيعة الأشراف للسلطان الحفصي المستنصر بالخلافة، وكان الأخير يتطلع إلى ذلك واستبشر بالبيعة(٣)، ولكن هذه البيعة كانت من أهم أسباب تدهور العلاقات الدبلوماسية

(١) التنسي: محمد بن عبد الله الجزائري (ت٨٩٩هـ/١٤٩٤م): نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان (المعروف بتاريخ بني زيان)، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٢٠.

(٢) عبد الرحمن بالأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٦٣.

(٣) ابن قنفذ: أحمد بن حسن القسنطيني (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد تركي، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ١٩٨٦م، ص١٢٥.

بين المماليك والحفصيّين بعد اطلاع المماليك على خبرها[١]. غير أنه بعد سنوات قليلة تجاوز الطرفان هذه المشكلة بعدما قرّر الملك الفرنسي لويس التاسع التحرّك عسكريًّا لاحتلال عاصمة الحفصيّين تونس سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٨م، فأرسل السلطان الحفصي المستنصر إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس[٢] بسفارة عاجلة يخبره بأن هذه الحملة الصليبية (الثامنة) سيكون هدفها تونس وليس مصر، وطلب منه العون العسكري[٣]. وقد اهتم السلطان المملوكي لأخبار هذه الحملة منذ سماعه بها، فأمر بتحصين الثغور الشامية والمصرية[٤]، وأرسل إلى أعراب شرق مصر يأمرهم بالمسير إلى تونس للجهاد وأن يحفروا على طول الطريق آبار المياه لمساعدة كل من أراد التوجه إلى تونس لقتال الصليبيّين من المتطوعة[٥].

وعلى العموم؛ فقد كانت هذه الحادثة فاتحة خير للعلاقات الحفصية المملوكية، ومع أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا سفارات دبلوماسية قد تمّت

(١) أمال عطية: السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجري، ص١٢٧.

(٢) هو الملك الظاهر أبو الفتوح ركن الدين بيبرس بن عبد الله العلائي الصالحي البندقداري الجركسي. تولّى السلطنة سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، وكان شهمًا شجاعًا سخيًّا، حسن السياسة، لا يفتر ليلاً ولا نهارًا عن مناجزة الأعداء. توفي بدمشق في المحرم سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، وكان له من العُمر ٥٤ سنة. انظر عنه: ابن الوردي: عمر بن مظفر الدمشقي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تاريخه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٢/٢٢٤).

(٣) مصطفى حسن الكتاني: حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ص٢٠٠.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، (١/٥٨٧).

(٥) ابن خلدون: كتاب العبر، (٦/٥٢٣).

بين الطرفين طيلة ثلاثين سنة بعد الحادثة، إلا أنه حدث سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م تطوّر عندما أرسل السلطان الحفصي أحمد الثاني[١] سفارة إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق يهنؤه على استرجاعه العرش بعد خلعه في السنة الماضية، وأرفق السفارة بهدية جليلة غلب عليها كثرة الخيول العتيقة المهداة[٢]، وقد ردّ السلطان المملوكي بسفارة شكر فيها السلطان الحفصي على التهنئة وعلى الهدية معًا[٣].

ثالثًا: الدبلوماسية المملوكية مع الدولة العثمانية: وهي أهمّ وأخطر أنواع العلاقات المملوكية الخارجية مع دول الجوار، لأنها كانت – في آخر المطاف – سبب انهيار الدولة المملوكية وإنهاء تاريخها الطويل، حيث سقطت هذه الدولة على أيدي العثمانيين نهائيًّا سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م[٤]، ولكن سبق ذلك طريق طويل من العلاقات الدبلوماسية التي تأرجحت بين المودة والتقدير، وبين القلق ثم الصدام العسكري؛ فقد كان الخطر التيموري ثم الخطر البرتغالي خير من عزّز هذه العلاقات، كما أن الغيرة الإسلامية التي كانت تبديها الدولة المملوكية اتجاه

(١) هو أبو العباس أحمد (الثاني) ابن محمد بن أبي بكر الحفصي البربري التونسي، الملقب بأبي السباع. كان أميرًا على مدينة قسنطينة شرق الجزائر ثم ثار على السلطان خالد بن إبراهيم الحفصي فخلعه وتولى السلطنة سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، فقمع الفتن واستعاد البلاد من المتغلّبين، واستمر كذلك إلى أن توفي بتونس سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م. انظر عنه: ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٢٥٧/١). الزركلي: الأعلام، (٢٢٥/١).

(٢) محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية؛ تاريخها السياسي في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٥٤٣.

(٣) أحمد عزاوي: العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، (١٠٨/٢).

(٤) انظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٩٦.

العثمانيّين في حربهم ومواجهتم المباشرة والمستمرّة لصليبيّي أوروبا كان ممّا عزّز هذه العلاقات كذلك، غير أن وجود المماليك والعثمانيّين في منطقة واحدة كدولتين كبيرتين قد أشعل نار التنافس بينهما على قيادة العالم الإسلامي وحاول كل طرف التوسّع على حساب أراضي الطرف الآخر.

أ- **علاقات الوُدّ وحُسن الجوار:** تجدّدت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين المملوكية والعثمانية بعد زوال الخطر التيموري بوفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وقد ازدادت هذه العلاقات قوة في عهد السلطان الأشرف برسباي[١]، واستمرّت على صفائها في عهد خلفه السلطان الظاهر جقمق[٢] الذي أرسل إلى نظيره السلطان العثماني مراد الثاني[٣] السفارات والمراسلات والهدايا، فقام السلطان العثماني بإرسال هدية إلى السلطان المملوكي ضمّت

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، (٦٥٦/٤).

(٢) هو الملك الظاهر جقمق بن عبد الله العلائي الجركسي المصري. السلطان الرابع والثلاثين من سلاطين المماليك بمصر والشام. تسلطن بعد خلع الملك العزيز يوسف ابن الأشرف برسباي. كان ملكًا جليلاً ديّنًا متفقهًا، هدأت البلاد في أيامه من الفتن. توفي بالقاهرة سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٢م بعد أن خلع نفسه عن السلطنة بأيام. انظر عنه: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، (١٩٤/٥). السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (٧١/٣).

(٣) هو مراد الثاني ابن محمد الأول (جلبي) ابن بايزيد الأول (الصاعقة) العثماني التركي. السلطان العثماني السادس. تولّى العرش بعد وفاة والده سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م. كان ملكًا مطاعًا مقدامًا كريمًا. توفي بأدرنة سنة ٨٥٤هـ/١٤٥١م، وكان له من العُمر ٤٨ سنة. انظر عنه: الشوكاني: محمد بن عليّ اليمني (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ط)، ١٣٤٨هـ، (١٥٩/٢). صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة: منى جمال الدين، دار النيل، القاهرة، (د.ط)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٤٦.

خمسين أسيرًا من الأوروبيّين وخمسة من الجواري وكمية كبيرة من الحرير[١]. واستمرّ الودّ بين الدولتين في عهد السلطان الأشرف إينال[٢]؛ فقد سارع السلطان العثماني محمد الفاتح[٣] إلى إرسال سفارة إلى نظيره المملوكي سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م يبشّره بفتح القسطنطينية، فأمر الأخير بدقّ البشائر بالقلعة وبالمناداة بالزينة في شوارع القاهرة، وأسرع إلى إرسال سفارة إلى السلطان العثماني لتهنئته بالفتح الكبير[٤]، وقد ردّ السلطان العثماني على السفارة المملوكية بإرسال خطاب حافل بالثناء والدعاء للسلطان المملوكي[٥]، وكانت هذه الأشهر التي أعقبت فتح القسطنطينية من أخصب فترات الودّ والسلام بين الدولتين، حيث تميّزت بتبادل البعثات الدبلوماسية

(١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (٢/٢٤٥).

(٢) هو الملك الأشرف سيف الدين إينال بن عبد الله العلائي الظاهري ثم الناصري الجركسي، الملقّب بالأجرود. ترقّى في المناصب العسكرية والمدنية إلى أن تولّى السلطنة سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٢م ثم تنازل عن العرش لابنه أحمد سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م ليموت بعدها بيوم واحد وقد قارب الثمانين. انظر عنه: ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، (١٦٨/٢). السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (٤٥٣/١).

(٣) هو محمد الثاني ابن مراد الثاني ابن محمد الأول (جلبي) العثماني التركي، المعروف بمحمد الفاتح. السلطان العثماني السابع. تولّى السلطنة سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م وعمل على فتح عاصمة الدولة البيزنطية القسطنطينية حتى تمّ له ذلك سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. توفي سنة ٨٨٥هـ/١٤٨١م، وكان له من العُمر ٥٣ عامًا. انظر عنه: الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (١٤١/٢). صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ص٥٨.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (٣١٦/٢).

(٥) أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٢م، ص١٥٩.

والهدايا وإقامة الاحتفالات[١]. وبعد ثلاث سنوات من الفتح الكبير، أرسل السلطان العثماني سفارة إلى القاهرة تحمل بشرى انتصار العثمانيّين على الصرب، فلما وصلت السفارة العثمانية إلى القاهرة دُقّت البشائر بالقلعة ثلاثة أيام، ثم أرسل السلطان المملوكي سفارة تهنئة إلى القسطنطينية محملة بالهدايا الكثيرة[٢].

ب- **علاقات العداوة وبسط النّفوذ:** وهو أمرٌ لم يكن غريبًا بسبب تنافس الدولتان للسيطرة على تجارة التوابل وطموح العثمانييّن للسيطرة على الحرمين الشريفين، وقد بدأت العلاقات العثمانية المملوكية تتدهور منذ بداية تدخل العثمانيّين في شؤون الإمارات التركمانية[٣] التابعة للمماليك والواقعة في جهة بلاد الشام والأناضول[٤]، كما أن المماليك بدورهم سيطروا على بعض الأقاليم التابعة للعثمانيين، مثل سيطرتهم على مرعش[٥] سنة

(١) قمر بن ذيب: العلاقات المملوكية العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص٣٠.

(٢) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٤٤.

(٣) مثل إمارة دلغار وإمارة القرمان وإمارة رمضان. محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ/١٢٥٠م-١٥١٧م)، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٤٤٧.

(٤) الأناضول: وتنطق كذلك أناطولي؛ وهي نفسها المعروفة بآسيا الصغرى، وهي شبه جزيرة في غربي قارة آسيا، تقع بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، وتمثِّل الجزء الأسيوي من تركيا الحالية. مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، (٣٠١/٢).

(٥) مرعش: مدينة تركية جبلية كانت من أحصن الثغور الشامية المواجهة للروم، وقد اتسعت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. يحي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٣٢٢.

٨٧٦هـ/١٤٧١م وقاموا بأسر أميرها العثماني – وكان من قرابة السلطان العثماني من جهة والدته – وأعدموه في القاهرة عند باب زويلة(١).

ورغم هذه الأحداث الحدودية، فقد حرص السلطان العثماني محمد الفاتح على تجديد الروابط مع المماليك وإخماد أيّ تدهور دبلوماسي في العلاقات بين الطرفين، إلا أن المماليك قابلوا ذلك بشيىء من الفتور(٢)، حيث كانوا يتوجّسون خيفة من طموح العثمانيّين الدائم إلى توسيع دولتهم وعملهم الدؤوب على تولّي قيادة العالم الإسلامي، وقد ظهر ذلك بجلاء سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م عندما رفض السفير العثماني الانحناء وتقبيل الأرض بين يدي السلطان المملوكي الظاهر خشقدم(٣) عند استقباله في القاهرة، فكاد السلطان أن يفتك به(٤)، وكان هذا ما أدّى – فيما بعد – إلى رفض العثمانيين إقامة تحالف مع المماليك لمواجهة الأمير حسن أوزون (ت٨٨٢هـ/١٤٧٨م) الذي تمرّد على السلطة المملوكية(٥).

(١) تيسير جبارة: تاريخ الدولة العثمانية (١٢٨٠م–١٩٢٤م)، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، ط١، ٢٠١٥م، ص٩٨.

(٢) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤٨٦.

(٣) هو الملك الظاهر خُشْقدم بن عبد الله المؤيدي الأردبغاوي الرومي. السلطان الثامن والثلاثين من سلاطين المماليك بمصر والشام، وأول سلاطين المماليك من الجنس الرومي. تولّى العرش سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، وكان داهيةً مهيبًا، كفوًا للسلطنة، قليل الأذى بالنسبة إلى من جاء بعده من ملوك الروم. توفي بالقاهرة سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وكان له من العُمر ٧٧ سنة، وكانت مدة سلطنته ستّ سنوات. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، (٩٣/٤). ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولّي السلطنة والخلافة، (١٧٣/٢).

(٤) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤٨٦.

(٥) غيثاء أحمد نافع: العلاقات العثمانية المملوكية (٨٦٨هـ–٩٢٣هـ/١٤٦٤م–١٥١٧م)، مراجعة: د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، ٢٠٠٥م، ص٦٦.

وبعد وفاة السلطان العثماني محمد الفاتح سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، وقع الخلاف على العرش بين ابنيه الأمير بايزيد الثاني[١] والأمير جم، وانتهى الأمر بصراع عسكري حسمه الأمير بايزيد وأعلن نفسه سلطانًا، في حين فرّ الأمير جم إلى حلب في حماية المماليك وبدأ عصيانه ضد أخيه السلطان انطلاقًا من الأراضي المملوكية، بعد ضمّه إلى جانبه العديد من أمراء التركمان الساخطين على السلطان بايزيد الثاني[٢]. وبعد فترة قصيرة استقبل السلطان المملوكي قايتباي[٣] الأمير جم استقبالاً حافلاً في القاهرة[٤]، وقد زاد هذا الفعل من حدّة التوتر بين الدولتين بالرغم من مغادرة الأمير جم بعد ذلك للأراضي المملوكية وانتقاله إلى جزيرة رودس[٥]؛ فقد حقد السلطان العثماني على المماليك فقام

(١) هو بايزيد الثاني ابن محمد الثاني (الفاتح) ابن مراد الثاني العثماني التركي، المعروف بالوليّ لرحمته وتديّنه. السلطان العثماني الثامن. تولّى العرش بعد وفاة والده سنة ٨٨٥هـ/١٤٨١م. كان سلطانًا مجاهدًا مثاغرًا مرابطًا، محبًّا لأهل العلم محسنًا إليهم. توفي بإستانبول سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م بعد تنازله عن العرش لابنه سليم، وكان له من العُمر يوم وفاته ٦٦ سنة. انظر عنه: الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (١٢٢/١). صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ص٨٢.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، درا الشروق، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٧٤.

(٣) هو الملك الأشرف سيف الدين قايتباي بن عبد الله المحمودي الظاهري الجركسي. كان كثير العدل والعبادة، مائلاً إلى العلم، وكان يتألف قلوب العلماء ويتواضع لعامة الصلحاء. توفي بالقاهرة سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م بعد حُكم دام أكثر من ٢٦ سنة. انظر عنه: السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (٢٢١/٣). النجم الغزي: محمد بن محمد الدمشقي (ت١٠٦١هـ/١٦٥٠م): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، (١٨٧/١).

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (١٨٣/٣).

(٥) أحمد مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص٧٥.

بإحكام الحصار الاقتصادي على الدولة المملوكية جهة الشمال الشرقي بحرمانها من إمدادات الأخشاب والفتيان القادمة من منطقة القرم والقوقاز[١]. ثم زاد التوتر بين الدولتين حدّة عندما استولى العثمانيون على مدن الحدود المملوكية جهة الشام[٢]، وكادت هذه الأحداث أن تُعجّل بالصدام العسكري الكبير بين الطرفين لولا وساطة باي تونس العثماني بين السلطانين والتي انتهت بعقد اتفاق سلام بين الدولتين سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م[٣].

وفي عهد السلطان قانصوه الغوري[٤] تأرجحت العلاقات مع العثمانيّين بين مدّ المودة وجزر العداوة، ولكن الأمور صارت إلى الأسوأ عندما تحرّك السلطان العثماني سليم الأول[٥] إلى حرب الصفويّين الذين هدّدوا حدود دولته وكثّفوا من

(١) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤٨٨.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (٢٦١/٣).

(٣) أحمد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص٥١.

(٤) هو الملك الأشرف قانصوه بن عبد الله الجركسي، المشهور بالغوري. كان نائبًا لمدينة طرسوس لثلاث مرات ثم تقلّب في المناصب العسكرية إلى أن تولّى السلطنة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م بعد خلع الملك العادل طومان باي. قُتل في معركة مرج دابق الشهيرة أمام العثمانيين سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وكان آخر سلاطين المماليك بمصر والشام والحجاز. انظر عنه: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (٧٣/٣). النجم الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، (١٨٥/١).

(٥) هو سليم الأول ابن السلطان بايزيد الثاني العثماني التركي، الملقّب بياووز، أي الشجاع. عاشر سلاطين العثمانيين. وُلّي السلطنة سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م وعمره ٤٢ سنة فضبط البلاد وقام بضمّ البلاد العربية والحرمين الشريفين سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م. توفي شرق استانبول سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، وكان له من العُمر ٥٠ سنة. انظر عنه الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (٢٣٣/١). صالح كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ص٩٠.

نشر التشيع بين رعاياه من التركمان[١]، فهزمهم السلطان في معركة جالديران سنة ٩٢١هـ/١٥١٤م شرّ هزيمة، ثم تحول إلى حرب حلفاء الصفويّين من المماليك الذين كانوا قد رفضوا إقامة تحالف مع العثمانيّين ضد الصفويّين بعد السفارة التي أرسلها السلطان العثماني إلى القاهرة في ربيع الثاني سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م[٢]، كما أن السلطان قانصوه الغوري وقف مع بعض الأمراء العثمانيّين الفارين من وجه السلطان سليم، وكان في مقدمتهم الأمير أحمد أخ السلطان سليم[٣]، بل إن من أهم الأسباب التي دفعت بالعثمانيّين إلى الصدام العسكري مع المماليك في رجب سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م هو منع جيشهم الزاحف إلى قتال الصفويّين من عبور الأراضي الواقعة تحت السلطة المملوكية[٤]، كما أن السلطان سليم الأول اعتبر خروج الجيش المملوكي إلى حلب بعد هزيمته للصفويّين بمثابة إعلان حرب على دولته[٥]. وقد انتهت هذه الأحداث المؤسفة بين الإخوة الأعداء بانتصار العثمانيّين على المماليك ومقتل السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق الحاسمة، وكان الغوري قد حرص – قُبيل المعركة – على تهدئة الأمور بإرسال سفارة دبلوماسية إلى نظيره العثماني من أجل الصلح والسلام، ولكن الأخير رفض الطلب وكاد أن يشنق الرسول المملوكي لولا شفاعة بعض وزرائه[٦].

---

(١) عبد اللطيف هريدي: الحرب العثمانية الفارسية وأثرها في انحصار المدّ الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص٤٩.

(٢) محمد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٩٦. محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤٩٦.

(٣) النجم ابن الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، (١/ ١٣٢).

(٤) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤٩٦.

(٥) عليّ محمد الصلابي: الدولة العثمانية؛ عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٨٦.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (٦٧/٥).

الخاتمة:

وبعد أن تمّ تفصيل الحديث عن دور الدبلوماسية في تعزيز العلاقات الخارجية للدولة المملوكية مع بعض دول الجوار، نسوقُ في ما يلي بعض النتائج التي أمكن التوصّل إليها من خلال هذه الدراسة، وهي:

- غلب على الدبلوماسية المملوكية طابع السلام والصداقة مع الدول المعاصرة، سواء كانت هذه الدول كبيرة أو صغيرة، وسواء كانت من الدول المجاورة أو البعيدة.
- كانت نقطة الخلاف الدائم التي توتّر العلاقات الدبلوماسية بين المماليك وبعض حكام الدول هي عندما يسعى هؤلاء الحكام إلى منافسة السلطة المملوكية في حكمها للحجاز رعايتها للحرمين الشريفين.
- تغيرت سياسة العداء وبسط النفوذ التي انتهجها ملوك الدول الإلخانية ضد المماليك بعد إسلام السلطان أحمد تاكودار الذي سارع إلى إرسال سفارتين إلى القاهرة لإرساء السلام بين الدولتين.
- كانت علاقات الجلائريّين الدبلوماسية بالمماليك قوية ومتينة في أغلب أحيانها، وهي امتداد لما كانت عليه العلاقات الإلخانية المملوكية.
- اتّسمت العلاقات الخارجية بين المماليك والتيموريّين بالاحتدام والتأزّم الدبلوماسي – ثم العسكري – بسبب سياسة التوسع التي انتهجها تيمورلنك ثم ابنه شاه رُخ وإن كان بشكل أقلّ حدّة من والده.
- استخدم المماليك في صراعهم السياسي ثم العسكري أمام تيمورلنك، سياسة تطوير العلاقات الدبلوماسية مع خصوم تيمورلنك من العثمانيّين والتركمان ومغول القفجاق، لاسيما بعد السُّمعة السيئة التي اكتسبها تيمورلنك عند اكتساحه المدن والبلدان الإسلامية.

- قلّت حدّة الخلاف الدبلوماسي بين المماليك والتيموريّين في عهد السلطان شاه رُخ الذي حاول كسب ودّ المماليك ولكن هؤلاء أبعدوه بسبب رغبته الجامحة في السيطرة على الحرمين الشريفين.
- تميزت علاقات المماليك بدول المغرب الإسلامي – على وجه العموم – بطابع الدبلوماسية الأخوية والتقارب فيما يخدم قضايا العالم الإسلامي، وهي امتداد لعلاقات قديمة مشرقية مغربية قبل قيام دولة المماليك.
- برزت العلاقات الدبلوماسية المملوكية مع المرينيّين أكثر من علاقاتهم مع الزيانيّين والحفصيّين، باعتبار أن بني مرين كانوا أكثر قوة ونفوذ في المنطقة، وهو ما كانت تقدّره الدبلوماسية المملوكية التي كانت تحترم الأقوى بين الدول.
- بالرغم من قِدَم العلاقات الدبلوماسية بين الحفصيّين والمماليك، إلا أن المماليك انزعجوا بشدّة من طموح الحفصيّين إلى تولّي الخلافة الإسلامية، لاسيما وأن الدولة الحفصية كانت لها حدود مشتركة مباشرة مع المماليك.
- تأرجحت العلاقات الدبلوماسية المملوكية العثمانية بين المودة والتقدير، وبين التوتّر ثم الصدام العسكري، وكان يقف وراء هذا الاضطراب كِبَر الدولتين في المنطقة وتنافسهما الدائم على النفوذ.
- عزّز الخطر التيموري ثم البرتغالي من صفاء العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والعثمانيّين، كما أن الجهاد العثماني المستمرّ ضد الصليبيّين في أوروبا كان من عوامل هذا الصفاء.
- وقع الصدام العسكري المحتوم بين المماليك والعثمانيين نتيجة لتراكم الخلافات بين الطرفين بسبب مناوشات الحدود العسكرية، إلى جانب سياسة احتضان الخارجين عن الطاعة من الأمراء والتي كانت تنتهجها الدولتان كوسيلة ابتزاز دبلوماسي ضد بعضهما البعض.

المصادر والمراجع:

ابـن الأحمـر: إسـماعيل بـن يوسـف الغرنـاطي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): روضـة النسرين في أخبار دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابـن إيـاس: محمـد بـن أحمـد الحنفـي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بـدائع الزهـور فـي وقـائع الـدهور، مكتبـة مصـطفى البـابي الحلبـي، القـاهرة، (د.ط)، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

– المنهـل الصـافي والمسـتوفي بعـد الـوافي، تحقيـق: أحمـد يوسـف نجـاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٧٥هـ/١٩٥٩م.

– مـورد اللطافـة فـي مـن وُلّـي السـلطنة والخلافـة، تحقيـق: نبيـل محمـد عبـد العزيـز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

– النجوم الزاهرة فـي أخبـار ملـوك مصـر والقـاهرة، تحقيـق: محمـد حسـين شـمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابـن حبـان: محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م): كتاب الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط١، ٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م):

– إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

– الـدرر الكامنـة فـي أعيـان المائـة الثامنـة، طبعـة حيـدر آبـاد، الهنـد، ١٣٥٠هـ، وتصوير: دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ابن حزم: عليّ بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٧٢م): جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ابن خلدون: يحي بن محمد الحضرمي (ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م): بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول: تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، (د.ط)، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

- التعريفات (أو رحلة ابن خلدون)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ابن الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت بعد ٧٣٦هـ/١٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦٥م.

ابن شاهين: عبد الباسط بن خليل الظاهري (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدُّول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ابن شداد: محمد بن عليّ الحلبي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ط)، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

ابن صصري: محمد بن محمد الشامي (ت بعد ٨٠١هـ/١٣٩٩م): الدرة المضيئة في أخبار الدولة الظاهرية، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، (د.ط)، ٢٠١٤م.

ابن طولون: محمد بن عليّ الحنفي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ابن عبد الظاهر: عبد الله بن رشيد الدين السعدي (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦١م.

ابن العبري: غريغوريوس بن أهارون الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

ابن عربشاه: أحمد بن محمد الدمشقي (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م): عجائب المقدور في أخبار تيمور، تقديم وإعداد: خيري الذهبي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.

ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

ابن عنبة: أحمد بن عليّ الحسني (ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ابن الفرات: محمد بن عبد الرحيم الحنفي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات، تحرير: قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٨م.

ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد الصابوني (ت٧٢٣هـ/١٣٢٢م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

ابن قنفذ: أحمد بن حسن القسنطيني (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد تركي، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ١٩٨٦م.

ابـن كثيـر: إسماعيل بـن عمـر الدمشـقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البدايـة والنهايـة، تحقيق: عليّ شيري، فهرسه: عبد الرحمن الشامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن الوردي: عمر بن مظفر الدمشقي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تاريخه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

أبو بكر ابن خطاب: محمد بن عبد الله المرسي (٦٨٦هـ/١٢٨٧م): كتاب فصل الخطاب، تحقيق: أحمد عزاوي، ضمن كتاب: المغرب والأندلس في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، طبعة ربانت، الرباط، (د.ط)، ٢٠٠٨م.

أبـو ضـيف: مصـطفى: القبائـل العربيـة فـي المغرب فـي عصـر الموحـدين وبنـي مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٢م.

أبـو الفـداء: إسـماعيل بـن علـيّ الأيـوبي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصـر فـي أخبـار البشـر المعـروف بتـاريخ أبـي الفـداء، تحقيـق: صـلاح الـدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

إقبـال: عبـاس: تـاريخ المغـول مـن حملـة جنكيزخـان حتـى قيـام الدولـة التيموريـة، ترجمة: عبد الوهاب علّوب، مراجعة: حسن النابودة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (د.ط)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

باعامر: محمد سالم: صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي في عهد تيمورلنك، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الإسلامي، إشراف: محمد جبر أبو سعدة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخيـــة والحضـــارية، جامعـــة أم القـــرى، مكـــة المكرمـــة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

بالأعرج: عبد الرحمن:
– العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٨م.
– علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك سياسيًّا وثقافيًّا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، الجزائر، ٢٠١٣م.
– قراءة في العلاقات السياسية بين دولة بني زيان والمماليك من خلال المراسلات الدبلوماسية بين القرنين ٧–٩هـ/١٣–١٥م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد ٢، العدد ٤، جوان ٢٠١٤م.
بدر الدين العيني: محمود بن أحمد الحنفي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
بك: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
بن ذيب: قمر: العلاقات المملوكية العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
بيرسون: مايكل ن.: الحج إلى مكة؛ الخبرة الهندية (١٥٠٠م–١٨٠٠م)، ترجمة: محمد حسن خليفة، إشراف: أبو بكر أحمد باقادر، دار كنوز المعرفة، جدة، ط١، ٢٠١١م.

البيهقي: أحمد بن الحسين الخراساني (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م): دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

التازي: عبد الهادي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، دار نشر المعرفة، الرباط، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

التنسي: محمد بن عبد الله الجزائري (ت٨٩٩هـ/١٤٩٤م): نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان (المعروف بتاريخ بني زيان)، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

جبارة: تيسير: تاريخ الدولة العثمانية (١٢٨٠م-١٩٢٤م)، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، ط١، ٢٠١٥م.

الحصان: محمد فهد: علاقات العراق السياسية والحضارية بالحجاز منذ سقوط بغداد حتى نهاية الحكم التيموري ٦٥٦هـ-٩٠٧هـ/١٢٥٨م-١٥٠١م، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الإسلامي بإشراف أ. د. محمد بن سليمان الراجحي، جامعة القصيم، كلية اللغة والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

الحميري: محمد بن محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

خدوري: مجيد: الحرب والسلم في شرعة الإسلام، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.

خصباك: جعفر حسين: العراق في عهد المغول الإلخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٨م.

الرضا: هاني: الدبلوماسية؛ تاريخها، قوانينها، أصولها، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

زامباور: إدوارد فون: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، إخراج زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، مطبعة فؤاد، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥١م.

الزركلي: خير الدين بن محمود: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

زكي: فاضل: الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، مطبعة شفيق، بغداد، ط٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

سالم: سحر عبد العزيز: صفحات تاريخية إسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، (د.ط)، ٢٠١٣م.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن المصري (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت بعد سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري، إشراف: محمد حجي وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ط)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

سليمان: أحمد عبد الكريم: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (ت٥٨١هـ/١١٨٥م): الروض الأنف في شرح غريب السِّير (المعروف كذلك بالروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

شامي: يحي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

الشاهري: مزاحم علاوي: الحضارة العربية الإسلامية في المغرب؛ العصر المريني، مركز الكتاب الأكاديمي، الرباط، (د.ط)، (د.ت).

شكري: محمد عزيز: المدخل إلى القانون الدولي العام وقت السلم، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

الشوكاني: محمد بن عليّ اليمني (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ط)، ١٣٤٨هـ.

الصفدي: خليل بن أيبك الدمشقي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: عليّ أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- الوافي بالوفيات، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، نشر: فرانز شتايز، شتوتغارت، (د.ط)، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الصلابي: عليّ محمد: الدولة العثمانية؛ عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

الصياد: فؤاد عبد المعطي: الشرق الإسلامي في عهد الإلخانيين؛ أسرة هولاكو خان، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، (د.ط)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الطبري: محمد بن عليّ المكي (ت١١٧٣هـ/١٧٥٩م): إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني حسن، تحقيق: محسن محمد سليم، جامعة الأزهر، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

طرطور: شعبان ربيع: الدولة الجلائرية، دار لهداية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

طقوش: محمد سهيل:

– تاريخ المغول العظام الإلخانيين، دار النفائس، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
– تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، (٦٤٨هـ–٩٢٣هـ/١٢٥٠م–١٥١٧م)، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

عاشور: سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٧٦م.

العز ابن فهد: عبد العزيز بن عمر المكي (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م): غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم شلتوت، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

عزاوي: أحمد: العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة؛ الغرب الإسلامي والشرق الإسلامي/الشرق والغرب المسيحي: القرنان ٧–٨هـ/١٣–١٤م، مطبعة ربانت، الرباط، (د.ط)، ٢٠١١م.

العسقلاني: شافع بن عليّ الرواحي (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م): الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

عطية: أمال سالم: السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، شهادة دكتورة غير منشورة في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي (معسكر)، الجزائر، ١٤٣٧هـ/٢٠٠٦م.

غانم: محمد حافظ: العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٦٢م.

الغياثي: عبد الله بن فتح الله البغدادي (ت بعد سنة ٨٩١هـ/١٤٨٥م): تاريخ الدول الإسلامية في الشرق (المعروف بتاريخ الغياثي)، دراسة

وتحقيق: نافع الحمداني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

الفاسي: محمد بن أحمد المكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١ تحقيق: محمد حامد الفقي، ج٢-ج٧ تحقيق: فؤاد السيّد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٨هـ.

القلقشندي: أحمد بن عليّ الفزاري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ط)، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.
- مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد الفراج، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

الكتاني: مصطفى حسن: حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

كولن: صالح: سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة: منى جمال الدين، دار النيل، القاهرة، (د.ط)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

لسان الدين ابن الخطيب: محمد بن عبد الله السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إفرست ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط٢، ١٩٥٦م.

متولي: أحمد فؤاد:

- تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٢م.
- الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، شارك فيها مجموعة كبيرة من المفكرين وأهل العلم العرب والمسلمين وغيرهم، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

مدكور: محمد سلام: معالم الدولة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، (د.ط)، ١٩٨٣م.

مرودي: جاستن: تيمورلنك قاهر الملوك والسلاطين وغازي العالم، ترجمة: مايا أرسلان، مراجع: هاني تابري، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، ٢٠١١م.

مصطفى: أحمد عبد الرحيم: في أصول التاريخ العثماني، درا الشروق، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

المطوي: محمد العروسي: السلطنة الحفصية؛ تاريخها السياسي في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

مغراوي: رابح: منهج ابن الخطيب في التأريخ للمشرق من خلال تحقيق الجزء الأول من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، (د.ط)، ٢٠٠٠م.

المقريزي: أحمد بن عليّ القاهري (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

المنوني: محمد: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

نـافع: غيثـاء أحمـد: العلاقـات العثمانيـة المملوكيـة (٨٦٨هـ-٩٢٣هـ/١٤٦٤م-١٥١٧م)، مراجعـة: د. عمـر عبـد السـلام تـدمري، المكتبـة العصـرية، بيروت، (د.ط)، ٢٠٠٥م.

النجم الغزي: محمد بن محمد الدمشقي (ت١٠٦١هـ/١٦٥٠م): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

هريـدي: عبـد اللطيـف: الحـرب العثمانيـة الفارسـية وأثرهـا فـي انحصـار المـدّ الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

اليـونيني: قطـب الـدين موسـى بـن محمـد البعلبكـي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م): ذيـل مرآة الزمـان، تحقيـق: حمـزة عبـاس، هيئـة أبـو ظبـي للثقافـة والتـراث، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.